اللاسامي هشلر والذي يبدو (مذكرات ، ٢٦ ابريل ١٨٩٦) انه كان يتكلم اليه بطلاقة عن « الجشع اليهودي » . اما النقطة الاخرى حول دور الصهيونية في اضعاف الثورية فهي أكثر قابلية للتصديق وتظهر التلميحات التي تشير اليها في معظم ما لدينا من كتابات واقوال هرتزل . فهجرة البروليتاريين اليهود كان من شأنها ان تحرم الاحزاب الثورية من اتباعها ومؤيديها بين صفوفهم . والاحزاب الثورية كانت منذ أجل باكر موضوع قلق للدوق والقيصر الالماني كما كانت بالنسبة لكافة رجالات الحكومات الاوروبية الاخرى . وما تجدر ملاحظته هنا انه منذ هذا التاريخ الباكر عام ١٨٩٦ كان هرتزل يدرك ان مسألة كهذه يجب الا تظهر في كراس مثل **الدولة اليهودية** موجه الى الرأي العام بل في مراسلات سرية . وفيما بعد حين وضعت القدرة الكامنة في الصهيونية على معاداة الاشتراكية موضع الاهتمام الفعلي عام ١٩١٧ احيطت هذه الدوافع بالسرية التامة .

من المرجح ان هذا العنصر هو ما مكن هرتزل في السنوات القادمة وخاصة بعد انشاء المنظمة الصهيونية عام ١٨٩٧ من كسب انتباه رجالات الحكومات الاوروبية المختلفة الذين اجتمع بهم الواحد تلو الآخر في السنوات اللاحقة . (اما في سعيه للظهور لدى الباب العالي فيبدو انه استخدم كوسيلة مناسبة للمزايدة على مختلف المتمولين الذين كانوا يتقدمون آنذاك بعروضهم لتوفير القروض للخزينة العثمانية) . وفي جولات هرتزل بين العواصم الاوروبية المختلفة واجتماعاته بمسؤوليها طرحت امكانية تحقيق التوطين اليهودي في مناطق عديدة امتدت من فلسطين وقبرص وسيناء والعراق الى الموزامبيق والكونغو واوغاندا . ولم تكن الدوائر الاوروبية الحاكمة لتعارض مبدئيا مخططا كهذا يؤدي الى تخليصهم من البروليتاريين اليهود . ولكن نظرا للمنافسة الحامية التي دارت بين الدول الاوروبية على مناطق القارات الاسيوية والافريقية والاميركية الجنوبية فان الاتفاق على منطقة تقتصر على الاستيطان اليهودي لم يمكن التوصل اليه. كما ان امكانية نشوب الكفاح الثوري الاشتراكي ، وان كان موضوع قلق دائم ، الا انه لم يصل الى مرحلة تهديد الانظمة المجتمعية القائمة في أوروبه حتى عام ١٩١٧ . وحتى ذلك الحين فقد كان لوعود هرتزل أن تبقى « مجرد كلمات منجرة » . وواقع ان اتباع الصهيونية بين اليهود بقي ضعيفا لم يكن ليثبط من عزيمة هرتزل الذي حمل راية الصهيونية بحماس في حين ان اغلبية المثقفين كانوا يتجهون بازدياد الى الاحزاب الاشتراكية . وفي مذكراته ليوم ١٤ حزيران ١٨٩٥ كتب : « ان شبابنا بكامله ، كل اولئك الذين هم الان بين سني العشرين والثلاثين عاما ، سيتخلون عن ميولهم الاشتراكية الغامضة ويتجهون الي . وسيذهبون الى عائلاتهم والى العالم بمثابة مبشرين متجولين دون ان اضطر ان احثهم على ذلك » .

لم يكن من المحتمل أن تسير الجماهير اليهودية وراء هرتزل بالشكل الفوري الذي توقعه. غلم يكن في ايديولوجية حركته ما من شأنه أن يستميل عواطفهم البروليتارية . حتى وظهور اليسار الصهيوني بعد ذلك بقليل لم يغير الامور بشكل حتمي . ويبدو ان هرتزل نفسه كان يدرك الحاجة الى نظرية تجتذب الجماهير . وهذا واضح من عبارة وردت بهذا المعنى في روايته **الارض القديمة الجديدة** نعود الى ذكرها فيما بعد . والنظرية المطلوبة ما لبثت ان ظهرت في كتابات ايديولوجيي اليسار الصهيوني وعلى رأسهم دوف بير بوروشوف .

باستثناء مغازلة قصيرة له مع الحزب الاجتماعي الديموقراطي الروسي ، بدأ بوروشوف مهنته السياسية عام ١٩٠٥ كخطيب متجول (أو مبشر متجول لو ذكرنا عبارة هرتزل) لصالح المنظمة الصهيونية . وفي الخطب التي توجه بها الى العمال اليهود بشكل خاص، تقدم بوروشوف بشرح لنفس الاهداف التي كان قد رفعها كل من بنسكر وهرتزل الا انه فسرها على أساس ما سماه «نظرية مادية صرفة». وقد ضمن بوروشوف نظريته هذه